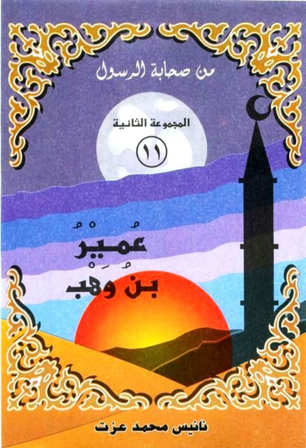

من صحابة الرسول
المجموعة الثانية
١١
عُمَيْر
بن وَهب
نانيس محمد عزت

عُمَيْرُ بنُ وَهْب

دعا الحاجُ صالحٌ أحفادَه لتَمضيَةِ أُسبوعَيْن من إجازَةِ آخرِ السَّنةِ في مزرَعَتِه ، فَفرِحَ الأولادُ ولَبَّوا دَعوَةَ جَدِّهم ، فالمَزْرَعَةُ واسِعَة ، ومكانٌ مُناسِبٌ للجَري واللَّعِب ، فضلاً عن أنها فُرصَةٌ طَيِّبةٌ لالْتِقائِهم بأبْناءِ عُمومَتِهم ، واللَّعبِ معهُم .

واختارَ الأولادُ الحديقَةَ الخلفيَّةَ لمنزِلِ المَزرَعَة ، لتكونَ مكانَ تَجمُّعِهم ولَعِبِهم . ولكنَّهُم للأسَفِ لم يَهتَمُّوا بنَظافَةِ الحَديقَةِ ونِظامِها ، فقَطعوا الأزْهار ، وكَسَّروا فُروعَ الأشْجار ، وبَعثَروا الأوراقَ المُهمَلَةَ على أرضِ الحَديقَة .

وعِندما حَضَرَ جَدُّهم ، ودخلَ الحديقَةَ الخلفيَّةَ للمَنزل ، ساءَهُ ما لَحِقَ بالحَديقَةِ من إهْمالٍ وقَذارَة ، فغَضِبَ من أحفادِهِ وقال لَهُم : ما هذه الفَوْضَى ؟ لقد

أفْسدتُم حَديقتي الجميلَة . وأنا مُستاءٌ منكم ومن تَصرُّفِكُم السَّيِّءِ فيها .

خَجِلَ الأولادُ من أنفُسِهم وقالوا : نحنُ آسِفُونَ على ما فَعَلنا يا جَدَّنا العَزيز .

قالَ جَدُّهُم : أنتم مُطالَبونَ بتَنظيفِ المَكان ، وإعادَتِه كما كان .

فبعدَ أن جَمَعَ الأولادُ القاذوراتِ والأوْراقَ المُهمَلَة ، قالَ لهم جَدُّهم : والآنَ ﴿ أتبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُها ﴾ كما قالَ اللهُ تَعالى . إذهَبوا إلى المَشتَلِ المُجاوِر ، واشتَروا مِنه شَتَلاتِ الأزْهار ، لِتُعيدوا غَرسَ ما قَطفْتُموهُ مِنها ، واحْذَوْا حَذْوَ الصَّحابيِّ الجَليلِ عُمَيْرِ بنِ وَهبٍ .

سألَ مَمْدوح : ومن هو عُمَيْرُ بنُ وَهبٍ يا جَدّي ؟

قالَ جَدُّه : هو أحدُ صَحابَةِ الرَّسولِ – صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم – الّذي ما أن أعلنَ إسْلامَه ، حتّى أقسمَ ألاّ

يدعَ مَكانًا آذى فيه الرَّسول ـ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسلَّم ـ أو أحدًا من أصْحابه ـ قبلَ إسْلامِه ـ إلاّ ويذكُرُ فيه اللّه ، ويَدعو فيهِ لِعبادَتِهِ سُبحانَهُ وتَعالى .

قالتْ سَلمَى : هل لكَ يا جَدّى أن تَحكيَ لنا قِصَّتَه ؟

قالَ جَدُّها : إنَّ قِصَّتَهُ مُسلِّيَةٌ ومُفيدَة ، تَعالَوا بِنا إلى ظلِّ هذه الشَّجَرَة ، وأنا أحْكيها لكُم .

وعِندَما بَدأ يَحكى قِصَّةَ عُميْر بن وَهب ، قال :

ـ كانَ عُمَيْرُ بنُ وَهبٍ قبلَ إسْلامِه ، داهِيَةً مُؤذِيا . تَفنَّنَ في تَعذيبِ المُسلِمينَ الأوائِل ، حتّى سَمَّوهُ « شَيطانَ الجاهِلِيَّة » .

. ويومَ بَدر ، كانَ هو عيْنَ قُريْش الَّذى أرْسَلوهُ لِيَستَطيعَ لهم عددَ المُسلِمينَ ومَبلغَ قُوَّتِهم . وبذكائِهِ الفِطرىِّ وقُوَّةِ بَصيرَته ، عادَ وأخبَرَهُم بعَددِ المُسلِمينَ فَقال : إنَّهُم ثَلاثُمائةِ رَجُل ، يَزيدونَ أو يَنقُصونَ قَليلا . وكانَ حَدَسُهُ صَحيحا .

واستَطرَدَ فَقال : ولكنّي يا مَعشرَ قُريشٍ رأيتُ المَطايا تَحمِلُ المَوتَ النّاقِعَ .. قومٌ لَيس مَعَهم مَنعَةٌ ولا مَلجَأٌ إلاّ سُيوفُهم ، واللهِ ما أَرَى أن يُقتَلَ رجُلٌ مِنهم حتّى يَقتُلَ رجُلاً مِنكُم ، فانظُروا رأيَكم .

وكادَتْ كلِماتُهُ أن تُؤثِّرَ في زُعماءِ قُريشٍ ويَعودوا أدراجَهُم ، لولا أبو جَهلٍ الّذي أصَرَّ على المُضِيِّ في الحَربِ ، وكان من نَتيجَةِ إصْرارِه ، أن كانَ هو نَفسُهُ أوّلَ ضَحاياها .

هذا وقد وَقعَ ابنٌ من أبناءِ عُمَيْرِ بن وَهبٍ في أَسْرِ المُسلمين .

فقالَ أحمَد : إنّ غَزوةَ بَدرٍ كانتْ لِقُرَيشٍ وزُعَمائِهِم بِمَثابَةِ الطّامَةِ الكُبْرَى ، فلمْ يَكنْ لِيَخطُرَ على بالِهِم أنّ هُؤلاءِ العَبيدَ الضُّعَفاءَ الّذين خَرجوا بالأمسِ القَريبِ من دِيارِهم ، قادِرونَ على إلحاقِ الهَزيمَةِ بِهِم .

وأمَّن جَدُّه على كَلام أحْمَدَ فقال : صَدقتَ يا أحْمَد ،

وكانتْ آثارُ غَزوَةِ بَدْرِ النَّفسيَّة ، أشَدَّ على قُرَيشٍ من آثارِها المَلموسَة ، فأصبَحَ لأكثَرِ سادَةِ قُرَيشٍ ثأْرٌ عندَ مُحمَّد ، فمِنهُم من قُتِلَ له أبٌ أو أخ ، أو خالٌ أو عمّ .

وذاتَ يوم وعُمَيْرٌ يَطوفُ بالكَعبَة ، إذ قابلَ ابنَ عَمِّهِ وصَديقَهُ الحَميمَ صَفْوانَ بنَ أُميَّة ، وجلَس الاثْنانِ يَتذكَّران بَدرًا وفَجيعَتَهُما فيها ، فلِعُمَيرٍ ابنٌ أسيرٌ عندَ مُحمَّد ، وفَقدَ صَفْوانُ أباهُ فى مَعرَكَةِ بَدر .

قالَ عُمَير : واللّهِ لولا دَيْنٌ عَلَيَّ لا أملِكُ قَضاءَه ، وعِيالٌ أخْشَى عَليهِم الضَّيعَةَ بَعدى ، لرَكِبتُ إلى مُحمَّدٍ حتَّى أقْتُلَه . فإنَّ لى عِندَه عِلَّةً أعتَلُّ بها عَلَيه . أقولُ له قَدِمتُ من أجلِ ابْنى هذا الأسيرِ عِندَك .

التقطَ صَفْوانُ كلِماتِ عُمَير ، فقالَ له مُشجِّعًا : عَليَّ دَيْنُكَ أقضيهِ عَنك ، وعِيالُكَ مع عِيالى أُواسيهم

ما بَقوا .

قالَ له عُمَيْر : إذنْ فاكتُم شَأنى وشَأنك .

هنا قالَ مَمدوحٌ غَضبانَ أَسِفا : يا لَهُما مِن نَذْلَيْن ، أَسْلَما آذانَهُما وعَقلَيْهما للشَّيطان ، فتبًّا لَهُما !

هدَّأ الجَدُّ مَمدوحًا فقال : لا تَغضَب يا وَلَدى ، فاللّهُ ــ تبارَكَ وتَعالَى ــ فاضِحٌ أمْرَهُما وكاشِفٌ سِرَّهُما لرَسوله .

تعجَّبت سلْمَى وسأَلت جَدَّها : أحقٌ هَذا ؟ كيفَ ذلك يا جَدّى ؟

قال جَدُّها : أمَرَ عُمَيرٌ بسَيْفِهِ فشُحِذَ له وسُمّ ، ومضَى به إلى المَدينَة .

وفى المَدينَةِ رآهُ عُمرُ بنُ الخَطّاب ـ رَضِيَ اللّهُ عَنه ــ وخَشِيَ منه علَى الرَّسول ـ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ــ ، ولكِنَّ الرَّسولَ أدْناهُ مِنهُ وسأَلهُ عَمّا جاءَ به .

مَكرَ عُميَرٌ وقال : إنّه جاءَ فى طلبِ ابنِهِ الأسيرِ الّذى فى أيْدى المُسلِمين .

وعندما سألهُ الرّسولُ عن السَّيفِ الّذِى فى عُنقِه ، قال : قَبَّحها اللّهُ من سُيوف ! وهلْ أغنَتْ عنّا شيْئا ؟

هُنالِكَ أخبرَهُ الرّسول ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ــ بأمْرِ اتّفاقِهِ مع صفوانَ فقال : بل قَعدْتَ أنتَ وصفْوانُ بنُ أُميَّةَ فى الحِجر ، فذكَرتُما أصْحابَ القَليب ــ حيثُ دُفِنَ قتلَى بَدرٍ من قُرَيْش ــ فقُلت : لَولا دَيْنٌ علَىَّ وعِيالٌ عِندى ، لَخَرجتُ حتّى أقْتُلَ مُحمّدًا . فتَحمَّلَ صَفوانُ بدَينِكَ وعِيالِكَ علَى أن تَقتُلَنى له ، واللّهُ حائِلٌ بَينَكَ وبينَ ذَلِك .

ذُهِلَ عُميَرٌ لحديثِ الرّسول ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ــ فالأمرُ كُلُّه كانَ سِرًّا بَينَهُ وبينَ صَفْوان ، فَأيْقَنَ بِصِدقِ نُبوّةِ مُحمّد ، وصِدقِ وَحْىِ اللّهِ إليْه . فقالَ من فَورِه : أشهَدُ إنّكَ لرَسولُ اللّهِ حقّا . فقد كُنّا يا رَسولَ اللّهِ

نُكذِّبُكَ فيما كنتَ تأتينا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّماء ، وما يَنزِلُ عَليكَ مِنَ الوَحْى ، ولكن خَبرى معَ صَفوانَ بنِ أُميَّة ، لم يَعلم به أحَدٌ إلاّ أنا وهُوَ . وَواللّهِ لقد أيْقَنْتُ الآن أنَّهُ ما أتاك بِهِ إلاّ اللّه . فالحمدُ لِلّهِ الّذى ساقَنى إلَيكَ سَوْقًا لِيهدِيَنى إلى الإسْلام .

فقالَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّمَ لمنْ حَولَه : فَقِّهوا أخاكُم فى دينِه ، وعلِّموهُ القُرآن ، وأَطلِقوا سَراحَ أسيرِهِ .

قالَ حازم : لقدْ لَمَسَ عُمَيرٌ إحْدَى مُعجِزاتِ الرَّسول - صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم - وعايَشَها ، ممّا كانَ لها الأثَرُ فى إسْلامِه .

قالَ جدُّه : وما أن أسلَمَ عُمَير ، حتّى تحوَّلَ من شَيطان فى الجاهليَّة إلى حَوارِيٍّ فى الإسْلام ، فنذَرَ حياتَهُ كُلَّها لِدراسَةِ القُرآن ، والتَّعلُّمِ والتَّفقُّهِ فى الدِّين ، حتى نسِيَ مكَّةَ ومن فى مكَّةَ جَميعا .

قالتْ سَلْمَى : هَـذا صَحيحٌ يا جَدّى . وماذا عنْ صَفوانَ بنِ أُميَّة ، فقد كان يتوقَّعُ من عُميرٍ تنفيذَ اتّفاقِهما ؟

تبسَّمَ جَدُّها وقال : فِعلاً يا سَلْمى . كانَ صَفوانُ موقِنًا أشَدَّ اليَقينِ منْ تنفيذِ عُمَيْرٍ لخطَّتِهما . فكانَ يَمشى فى رُبوعِ مكّةَ فرِحًا مُختالا ، مُبشِّرًا سادَتَها بقَوله : أبشِروا بنبأٍ عَظيم ، يَأتيكم قريبًا فيُنسيكُم وَقعةَ بَدر .

وتأخّرتِ البشارَةُ الّتى انتظرها صَفوانُ طَويلا ، فبدأ يُساوِرُهُ القَلَق ، ويَسألُ القادِمينَ من المَدينَة : هل حَدثَ فيها خَطبٌ جَليل ؟ إلى أن جاءَهُ الرَّدُّ بالإيجاب . وعندَما سألَ عن الحَدَثِ ما هو ؟ كانَ الجَوابُ أنّ عُميرَ بنَ وَهبٍ قد أسْلَم ، ويَتفقَّهُ الآنَ فى الدّين .

وأصيبَ صَفوانُ بنُ أميّةَ بخَيبَةِ أملٍ عُظْمَى .

فضحِكَ الأَوْلادُ مَسرورين . وأكمَلَ جدُّهمُ القِصَّةَ فقال : ونعودُ لعُمَيرٍ في المَدينـةِ ، لِنرَى أنـه عِندَما أتَمَّ حِفظَ القُرآنِ ودِراستَه ، وتَفقَّهَ في الدِّين ، عزَمَ على أن يَخدُمَ الدِّينَ بقَدرِ ما حارَبَه ، وأن يَدعُوَ إليه بقدرِ مـا دَعا ضِدَّه ، فقالَ لرَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ـ : يا رَسولَ اللّهِ إني كنتُ جاهِداً في إطْفاءِ نورِ اللّه ، شديدَ الأذَى لمن كانَ على دينِ اللّهِ عزَّ وجَلَّ . فأُحِبُّ الآنَ أن تَأذَنَ لي بأن أذهَبَ إلى مكّةَ ، فأدْعُوَهُم إلى اللّهِ تَعالَى وإلَى رَسولِه وإلَى الإسْلام ، لعلَّ اللّهَ يَهديهم ، وإلاّ آذيْتُهُم في دينِهم كما كنتُ أوذي أصْحابَكَ في دينِهم .

وعادَ عُمَيرٌ إلى مَكّةَ يدعو لدينِ اللّه ، ويُشهِرُ سَيفَه في وَجهِ كلِّ مَن يَقِفُ في طَريقِه . وصَدقَ وعدُهُ لرَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ـ فما تَركَ مَكانًا آذَى فيه المُسلِمين ، إلاّ ودَعا فيهِ للّهِ وللإسْلام .

فكانَ منهجُهُ الّذى سارَ عليهِ فى الإسْلام : واللّهِ لا أدَعُ مَكانًا جَلستُ فيه بالكُفر ، إلاّ وجَلستُ فيه بالإيمان .

ولَقيَهُ صَفوان ، الّذى ما أنْ رآهُ حتى همَّ بمُهاجَمَتِه ، ولكنَّ سَيفَ عُمَيْرِ المُشهر ، أوقفَه عندَ حَدِّه . فاكتفى صَفوانُ بأنْ ألقى على سَمعِهِ سَيْلاً من الشّتائم ، ثُمَّ مَضَى لحالِه .

واسْتطاعَ حواريُّ الإسْلام عُمَيْرُ بنُ وَهب ، أن يُقنِعَ الكَثيرينَ بالإسْلام ، فكُتِبَتْ لهمُ الهِدايَةُ على يَدِ عُمَير ، الّذى عادَ إلَى المَدينَةِ فى مَوكِبٍ من أهْلِ مَكَّة ، يُكَبِّرونَ ويُهَلّلون ، فَرحينَ بإسْلامِهم ، وبلقاءِ الرَّسولِ الكَريم - صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم - .

قال أحْمَد : صَدقتَ يا جَدّى ، فعُمَيْرٌ مِثالٌ يُحتَذى فى إتْباعِ السَّيِّئَةِ الحَسنَةَ تَمحُها ، فها هو يُكفِّرُ عن صَدِّهِ

عن سَبيلِ اللهِ وعن شِركِه ، بالدَّعوةِ إلَى الدّين ، فكـان سَبَبًا فى دُخولِ الكَثيرينَ من أَهْلِ مكَّةَ فى الإِسْلام .

وسألتْ سَلمَى : ولكن كيفَ تحوَّلَ عُمَيْرٌ منَ النَّقيض إلَى النَّقيض ، وكيفَ تحوَّلَ من شَيطانٍ فـى الجاهِليَّـةِ إلى حَواريٍّ فى الإسْلام ؟

قالَ جَدُّها : إنّه نورُ الإسلام .. نورُ القُرآنِ يـا بُنَيّتى الّذى ما إنْ يَدخلُ القَلبَ إلاّ ويُنيرُه .

وكتبَ اللهُ للمُسلمينَ الفتحَ الأعظم ، ودَخلوا مكّةَ مُنتصرينَ يُكبِّرونَ ويُهلِّلون . دَخلوها بـدون قِتـال ، أقوياءَ أعزّاءَ بعدَ أنْ خَرجوا مِنهـا مُستَخفينَ يَتسلَّلونَ تَحتَ جُنحِ الظَّـلام . وعـزَّ على عُمَير أن يَـترُكَ قَريبَـهُ وصَديقَهُ صفوانَ بنَ أُميّةَ فَريسَـةً للشَّيطان . هـذا وقـد هَربَ صَفوانُ إلى جَدّةَ لِيُبحِرَ مِنهـا إلى اليَمَـن ، فذهَـبَ عُميرٌ إلى رَسولِ اللهِ ـ صلّى اللهُ عَليهِ وسلّم ـ يطلبُ

منهُ الأمانَ لِصَفْوان ، فأمَّنهُ الرَّسولُ وأعطاهُ عِمامَتَهُ الَّتى دخلَ بها مَكَّة ، لتكونَ آيةً لِصَفْوانَ يَعرفُ بها أمانَه .

وعـادَ صَفـوانُ إلَـى المَدينَـة ، وطلـبَ شَـهرَيْن مُهْلَـةً للخيارِ جَعَلَها ــ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسلَّم ــ أربعَةَ أشْهُر ، فكانت فُرصَةً لصَفْوانَ راجعَ فيها نَفسَه ، وعـادَ فيها إلَى صَوابه فأعلَنَ إسْلامَه .

قالَ أحمد : إنَّ عُمَيرًا صَديقٌ وَفِيٌّ ، لَمْ يَشأ أن يَترُكَ قَريبَهُ وصَديقَهُ فى الظُّلُمات ، وأصَرَّ علَى أن يَصِلَ بـه إلَى بَرِّ الأمان .

قال جدُّه : إنَّهـا ــ كمـا قلتُ لكم يـا أحفادى ــ أخلاقُ الإسْلامِ الَّتى تَشبَّع بها عُمَيْر . ولا تَنسَوا أنَّهُ كانَ سَببًا فى إسْلامِ الكَثيرينَ من الكُفّار .

قالَ حـازم : نَشكُركَ يـا جَدَّنـا العَزيـزَ علـى قِصَّتِكَ الشّائِقَة المُفيدَة .

وقالَ مَمدوح : هَيّا يا أَوْلاد .. هيّا لنُتبعَ السَّيِّئةَ الحسنةَ تَمحُها .. وتَعالَوا لنُصلِحَ ما أَفْسَدناهُ لتكونَ الحَديقةُ أجمَلَ مِمّا كانت .

قالَ جدُّهم : هل تُريدونَ أن أُساعِدَكُم ؟

فرِحَ الأولادُ وقالوا : بالطَّبع نُريد . فنحنُ نُحِبُّ أن تُساعِدَنا ، كما نُحبُّكَ ونُحبُّ أن نَكونَ دائِمًا مَعًا . فَهَيّا لنُحضِرَ الشَّتَلاتِ ونَبدأَ الزِّراعَةَ في الحال .